حكاية مصرية جدا

تلك اللحظات القليلة ، غريب يلتقى بغريب ، وكل منهما يلعن الحظ بطريقته ، ويتلاءم أو يتصارح ، بطريقته أيضا .

ذلك السائق الطيب . سمين وملظلظ وأب لثلاثة طلبة فى الجامعة ، ويجيد رواية الحديث والنكتة .

قال :

ــ كنت سائرا قريبا من شيراتون ، وفجأة فى تقاطع شارعين ، وجدت شحاذا مقطوع الساقين يعترض بجسده (أو بالأصح بالباق من جسده) طريق العربة . وقفت . وفوجئت بذلك الإنسان ، وبقدرة هائلة كقدرة القرود والزواحف ، يقفز من حيث كان أمام العربة إلى حيث الباب المجاور لى ويفتح الأكرة وينزلق بجسده إلى جوارى وهو يلهث ويقول :

ــ اطلع يا أسطى .

ــ أطلع ازاى .

قلت له :

ــ معقول أن أعطيك حسنة . أما أن أوصلك حسنة فهو ما لم يسمع به أحد .

قال :

ــ يا أسطى أنا عايز أروح شبرا الخيمة أو شبرا المظلات ، من فضلك وصلنى . أنا زبون ولست شحاذا اطلع بسرعة .. أرجوك .

ترددت قليلا ولكن إلحاحه الشديد .. ثم قبضة النقود التى أخرجها نصف إخراجة من جيبه أقنعانى أن أطلع . وطلعت . سرت على كورنيش النيل أتأمل الزبون .. ملابسه مقطعة ، جسده قذر ، شاب لا يزال ولكن شعره منكوش بطريقة تضيف إلى عمره عشر سنين . ولعب الفأر فى عبى مرة أخرى فأوقفت السيارة وقلت له :

ــ انت حكايتك إيه بالضبط . مش ماشى الا لما تقول لى .

قال :

ــ تشرب كوكاكولا ..

ونادى على بائع الكاكولا ، ودفع له فى الزجاجتين عشرة قروش بسخاء وشربناها . قال :

ــ اسمع يا سيدى .. أنا شحات ..

قلت فى سرى : هذا يبدو واضحا ..

قال :

ــ وأنا أريد أن آخذ تاكسى مخصوص لأهرب من العسكرى .

سألته :

ــ قصدك شرطة مكافحة التشرد .

قال :

ــ لأ .. عسكرى المرور .

قلت :

ــ وما علاقتك بعسكرى المرور وأنت شحات ؟

قال :

ــ علاقة عمل .

قلت فى سرى :

ــ أى عمل هذا الذى يربط بينك وبين عسكرى المرور ؟

قال :

ــ أيوه .. علاقة عمل .

وأخبرنى بالقصة .. قال :

ــ من يوم أن قطعت ساقاى فى حادث مترو بدأ ربنا يفتحها على ، وبدأ الناس كلما رأونى زاحفا على الأرض من تلقاء أنفسهم يعطوننى ، وبدأت أطلع فى اليوم بخمسين ستين قرشا ، وأقول نعمة . ولكنى بدأت أفهم وأوعى وأعرف أننى أمتلك رأس مال . ساقاى المقطوعتان رأس مال لا بأس به أبدا لابد أن أشغله . وهكذا بدأت أتقن انتقاء الأماكن ، وأعرف طباع السكان والمارة فى كل حى من أحياء القاهرة ، الغريب أن الذين كانوا « يعطفون » دائما على هم : إما الفقراء جدا أو الأغنياء جدا . أما متوسطو الحال من أمثالك فالظاهر أن الرحمة صعبة الوصول إلى قلوبهم تماما . ولكنى أيضا بطول المزاولة اكتشفت أن الذين يعيشون فى مصر تتيبس الرحمة فى قلوبهم بعد قليل من كثرة ما يرون ، أما القادمون الجدد فهم الذين لا تزال قلوبهم ، وجيوبهم أيضا ، عامرة بالمال والرحمة .

وهكذا كان لابد أن أعثر أخيرا على ذلك الركن القريب من الفندق الكبير الذى ركبت معك من جواره . مكان وشغلانــه لوكس . الركن إشارة . تقف العربات عند النور الأحمر ، فى سرعة أكون قد مسحت ركاب العربات الواقفة وسائقيها قبل أن يضىء النور الأخضر وينطلق المرور .. ولكنى اكتشفت أن الإشارة

لا تستمر طويلا بحيث لم أكن أتمكن من تكملة مسح العربات كلها . وهكذا فى يوم ذهبت إلى العسكرى الواقف عند الإشارة و لم يأخذ الأمر سوى كلمتين اتفقت معه بعدهما أن يطيل فتح النور الأحمر حتى (أمسح) العربات كلها وحين أعطيه أنا (إشارة) من رأسى أن كله تمام يفتح هو (الإشارة) .

ــ يا ابن الإيه .

هكذا قلت له . وقلت لنفسى أهذا هو السبب إذن فى طول وقت تلك الإشارة وربما غيرها من الإشارات ؟

ووجدتنى أسأله :

ــ وكنت تعطى العسكرى .

قال :

ــ طبعا .. خمسين ستين قرشا كل يوم .

ــ أمال انت بتطلع بكام .

ــ مش كله .. اتنين تلاته .. ممكن أكتر شويه خمسه سته فى يوم المرور الزحمه .

ــ طب والنهارده .. مالك هربان ليه ؟ إيه اللى حصل ؟

ــ النهارده يوم موسم وكل سنه وانت طيب . والشغل كان على

ودنه . وقلت اهرب قبل ما يجى العسكرى يشاركنى فيه .

ولكن (هكذا قال الأسطى) تفكرت فى الموضوع وقلت له :

ــ طب ما هو العسكرى بكره ح يقفشك يا حدق .

ونظر لى بابتسامته الشابة الحدقة المصرية الساخرة وقال

ــ لا .. بكره فيه عسكرى تانى باتفاق تانى .. ده كان آخر يوم لعسكرى ده فى الحته دى .

قال الأسطى : كنا قد وصلنا المكان .. عندك يا أسطى وقفت .. كان الحساب ٤٣ قرشا . أعطانى خمسين قرشا .. سبعة قروش بأكملها بقشيش وقال لى : لو تبقى كل يوم تعدى على الإشاره دى الساعه عشره كده وتوصلنى ح اديك خمسين قرش .